باعـث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الاندلسي

آمـل صالـح رحمـه
مدرس/ هيئة التعليم التقني

د. حميدة صالح البلداوي
استاذ/ كلية التربية بنات

ملخص البحث

تميز الشعر الاندلسي بمجموعة من القيم الجمالية ، تبرز الجمال والقبيح والتراجيدي ، وعبر عن هذه القيم من خلال نظام بنائي جمالي مميز انسجم وطبيعة تلك القيم والتراجيديا تتمثل بحالتين ، تتمثل الاولى بتجسيد الموت او البعد وماتبرزه من مآسٍ وحزن والم عند وقوع الحاله فيجسد الشاعر مشاعره واحاسيسه بالرثاء وذكرى الفقيد ويكثر من الشكوى ومايرافقها من حنين ودموع.

وبتنوع مواقف الحزن يبرز الحب نوع التراجيديا فيجسدها بالعبارات ذات الالفاظ المعبرة عن المشاعر فهي تظهر الم الغربة وكما ظهر في الشعر الاندلسي بقوة في بكاء المدن كحالة جديدة على اغراض الشعر .

وتبرز الحالة الثانية ايضاً في عمق الحب والشوق والتلهف في كل المواقف التي يعيشها الشاعر.

باعث البحث

يعد الحزن بأشكاله المأساوية حالة مؤثرة لما يتولد عنه من انفعال ولواعج نفسية مؤلمة ويحاول البحث دراسة اثر باعث العاطفة في حالة الحزن الامر الذي زادني شوقًا ان استنبط العوامل والبواعث الانفعالية في قصائد نخبة من شعراء الاندلس لما حل بتلك البلاد واهلها من مآس وويلات .

تحديد المطلحات

التراجيديا لغةً واصطلاحًا

التراجيديا من مفاهيم اللغة الانكليزية استخدم كمصطلح في دراسات علم النفس والادب خاصة ويعني باللغة العربية المأساة أو المأساوي وكل ما يثير اللواعج والآلام في النفس .

والتراجيدي مصطلح جمالي مبني من حيث المفهوم المجرد – على كل ماله علاقة بالمأساة ويقابله المأسوي او المأساوي . وهو يشكل بعد تحوله من المفهوم الى القيمة احد الموضوعات الأثرية التي تستهوي المبدعين الى جانب الجميل والجليل والكوميدي والقبيح .

التراجيديا ، كما اكد ارسطو هي كل مايثير فينا الشفقة والحزن وقد اعتبر حينها ان المسرحية التراجيدية تشكل ضرورة هامة للناس لانها تظهر الكاتب حين يبدعها والمتلقي حين يشاهدها او يتلقاها بصيغة معينة ، وبخاصة اذا تقاطعت مع مشكلاته المكبوته . (١)

ويعد الباحثون التراجيديا ، قيمة جمالية تعني التعبير عن المأساة بسبب انعكاس حدث معين على المبدع فيجسده بعبارات مؤثرة بالمتلقي تنقلها صورة فنية معبرة ذات قيمة جمالية .

وعلم الجمال يتناول التراجيديا بوصفه مفهوما جماليا حول الى قيمة في العمل الابداعي ، وهو بذلك يدرس التراجيدي في الفن عبر مستويين

أ- قيمة التراجيدي التي تحولت من الفكرة المجردة الى الاحساس الذاتي المصاغ صياغة فنية وملامحها وعلاقاتها بالقيم الاخرى من حيث المساحة والمجاورة البيئية ونمط التفاعل

ب- الشكل الفني الذي جسد المبدع موضوعه فيه ومدى انعكاس المحتوى التراجيدي وتغلغله ضمن هذا الشكل الفني عبر الموسيقى والايقاع والمفردة والصورة الفنية فأذا حدث مثل هذا التعالق فغالبا مايكون المبدع موفقا .

وقد احتلت التراجيديا مساحات واسعة في شعر شعراء الاندلس ، ولقد ابدع الشعراء في تصوير المأساة بشكل يتميز بالدقة والشفافية ، يجدها المتلقي من خلال قراءة نصوصه في الرحيل والفراق والموت ، ومايبكيه من مآسٍ تميز فيها الشعر الاندلسي مثل الغربة والحنين الى الوطن وتظهر بشكل واسع في الرثاء او رثاء المدن فنلاحظ ان غربة الشاعر الروحية اعمق في رسم مشاعره لما لهذه الحالات من تأثير نفسي بشعوره بالوحده والعزلة وما الى ذلك .

العوامل المؤثرة في ظهور التراجيديا

واحتلت صور الحزن باشكاله مساحات واسعة في الشعر الاندلسي لما حل بتلك البلاد من أحداث جسام بعد ان كانت مركز اشعاع وسط الجزيرة وماكانت تعنيه تلك الحياة بنفوسهم وقد عظم الامر بعد حصول النكبه وضياع الوطن .

والشاعر الاندلسي انسان مرهف الحس يعيش واقعه ويتأثر به فيأتي تأثيره ولواعج نفسه بعبارات موسيقية تشحن بخلجات وجدانه ، واهتزازات عواطفه وانفعالات ذاته وينثر ماتكنه اعماقه وماحملته الايام من تجارب خلال مسيرته الطويله مع الزمن والحياة والمجتمع وماتحمله من افراح واحزان من غبطه والم ، من غنى وفقر على شكل صور حية للمأساة .

وتبرز لغة الحب في تعبيره عند سماع المتلقي تلك الاشعار سواء اكانت تمثل ذاته او تعبر عن حالة عامة لها المساس في حياته كما نرى ذلك في فن الرثاء ورثاء المدن .

الرثـاء

يقال له التأبين ايضا واذا كان المديح هو الثناء على الشخص في حياته فإن الرثاء او التأبين هو البكاء على الميت بعد موته وتعديد مآثره بالتعبير عن الفجيعه. (٢)

ويتمثل الرثاء في التراجيدي بأنه حاله حب وشوق تلخصها الكلمات والعبارات .

وشعر الرثاء انما يقال على الوفاء فيقضي الشاعر بقوله حقوقا ما سبقت او على السجية اذا كان الشاعر قد فجعٍ بانسان عزيز عليه او قريب منه فنراه يحمل الكلمات احزانه ولوعته وماتكنه نفسه من آسٍ لما لسطوة الموت من قوة لايمتلك القدرة على ردها او الخلاص منها كما قال الشاعر ابن عبدون .(٣)

كما منك ياموت لاواق ولاغادي   الحكم حكمك في القاري والبادي

نلمس في قول الشاعر ان الموت كان له كالقيد لايمكن قبوله ولايمكن الخلاص منه هذه القدرة التي رسمها الشاعر جسدت لنا مقدرة الانسان تجاه القدر او فعل الزمن فهو يقصر في امآنيه ويحد من حركته فنلاحظ ان الكلمات تلاقت مع الفكرة فأوحت للمتلقي بقبول الشاعر للحالة مع رغم صعوبتها انها مآساوية ويكون ذكر المحاسن في الرثاء تخفيفاً لوقع الحادثة كما في قول عالم شاعر يرثى الفقيه ابا مروان بن سراج الاندلسي بقوله . (٤)

اودى سراج الـمجد وابن سراجه   فلنور شمس المكرمات افول
لـــو كان علم الدين يبكي ميتا   لبكى الحديث عليه والتزيــل
كـم مـــن حديث للنبي ابانـه   فـبدت لـه عزر نرز ومجول
كم مصعب في النحو راض جماحه   حتى غدا والصعب مـنه ذلول

فالشاعر هنا يركز بوضوح على التفاصيل الجزئية من كلامه ليبعث فكرته من خلال ذكر محاسن الميت ويسلط الضوء على اثر فقدانه في العلوم حيث وصفه بسراج اطفيء بعد موته وهنا نلاحظ ان الشاعر ركز في رثاء الميت على المحاسن لكنه حمل الكلمات اثر الالم . وبان تأثيره بفقد الفقيه لانه عالم من اعلام العلم والادب . ولكن العاطفة تبرز في شعر الشاعر عندما يكون المصاب ذا تاثير في نفسه نلاحظ ذلك في شعر المعتمد بن عباد وهو يرثي ولديه قتلا غيلة على ايدي رجال يوسف بن تاشفين وكان ابن عباد سجينا في سجن اغمات لم يستطع الذود عن ولديه وكانت صورة الحزن في ابياته قوية حتى انه يجيب من يدعوه الى الصبر بقوله (٥)

يقولون صبراً ألاسبيل الـى الصبر   سـأبكي وابكي ماتطاول عمري
هوى الكوكبان: الفتح ثــم شقيقه   يزيد، فهل بعد الكوكبان من صبر
تـوليتما والــسن بــعد صغيرة   ولم تلبث الايام ان صغرت قدري

ونلمس الخزين العاطفي المكنون في نفس الشاعر وآثاره التي تلون الفاظ القصيدة لتجعلها مشحونه بالدلالات العاطفيه على الرغم من بساطة الالفاظ وملائمتها مع الفكرة فتأكيد الشاعر على البكاء ورفضه الصبر دلالة على حبه لولديه ودلالة على عظم مصابه .

ان مرتكز هذا القول وعماده هو بيان اختزان النص لمشاعر الشاعر الحاره والصادقة والافصاح عنها كما يبدو على تفسير الحب الذي اظهرته العاطفة الجياشة في سياق النص .

ذلك ان المسار الذي اتبعه الشاعر الاندلسي للتعبير عن التراجيدي ، وتشكيله في موقف الرثاء ومايعمق هذا الشعور التراجيدي اكثر هو الاحساس الشديد بالم الفراق والبعد والعجز عن تحمل المصائب .

ولعل ابن حمديس الصقلي من اكثر شعراء الاندلس قولا في الرثاء ، فالى جانب مانراه في ديوانه في المراثي الرسمية في من كان له بهم اتصال من الامراء والأشراف وقواد الجيوش .

والرثاء عند ابن حمديس ينحو منحى ذكر المحاسن والثناء على الميت بينما حملت قصائده التي رثا بها اباه وزوجته وبنته وعمته وجاريه له . تدعي (جوهرة) نوعا اخراً من الرثاء حيث تميزت هذه المراثي بجودة الصياغة وصدق العاطفة وقوة حرارتها ، وقد تضمن رثاؤه لوالده قوله :(٦)

يـد الدهر جارحة اسيـة   ودنياك مفنيـة فـانيـة
رأيت الحمام يبيد الانـام   ولـدغته مالها راقـية

ومما يزيد الامر يؤسا ويجعل الشاعر اكثر شقاء عندما يفقد انسانا عزيزاً عليه ، كما جاء في شعر ابن حمديس الصقلي في قصيدته التي رثى بها زوجته على لسان ولده عمر فجاءت هذه المرثية بدرجة عالية في دقة الوصف لضربة الدهر حيث جسد الموت بصفه الانسان المقاتل ورمية قوسه تصيب وتعمي وان الموت حتما ات و من هذه القسوة في الطعن قوله (٧)

أي خطب عن قوسه الموت يرمي   وســهام تصيب منه وتعمي
يسرع الـحي فــي الحياة بــبرء   ثـم يــقضي الى الممات بسقم

ثم يسترسل في الكلام عن فلسفة الحياة والموت ، كما يراها هو حتى اذا اوفى على الغاية من ذلك انتقل الى رثاء زوجته على لسان ابنه مره ثانية

لو بكى ناظري بصوب دماء   ماوفى في الاسى بحسرة امي
من توسدت فـي حشايا حشاهـا   وارتدى اللحم فيه والجلد عظمى

وكما هو ملاحظ في سياق الكلام باختيار الالفاظ القوية النافذة الى القلب ، لانستطيع استبدالها او أي منها دون ان تفسد الشعر وتذهب بقوته ، وكيف كانت لهذه الالفاظ دلاله على

رسم الصوره الفنية المعبرة عن الفكرة والتي اراد الشاعر ان يجسد دور الام بضم الجنين في حشاياها ، حينما كانت الفجيعة قوية وهذا التعبير لايقصر على ابنه بل انه ينقل معاناة نفسه من الم ووحشة تمثل ذلك بالبعد عن الحبيبه فجاءت لغة الحب صادقة نقيه تحملها الالفاظ وتتجانس معها .

ولغة الحب في شعر الرثاء تمس نفوسنا عندما نستمع الى اية قصيدة في الرثاء الصادق ومدى قدرتها على نقل الصورة الى نفس المتلقي فهي لاتحرك النفس إلا بقدر مافيها من تفاصيل حقيقية قادرة على استحضار صورة المرئي امام خيال المتلقي وتنطق هذه الاشعار بصدق العاطفة ويكسوها لون كئيب وضل حزين يوشحه التشائم والالم ويكسوه الاسى والشجن

رثاء المدن والممالـك

للرثاء موقع واسع في الشعر الاندلسي ، اجاد فيه الشعراء واكثروا في تصوير المآسي والالام وشدة الشوق رسمت في صور فنية تشخيصية . وقد توسع الرثاء فشمل اغراضا جديدة اهمها رثاء المدن والممالك (وهو فن جديد ظهر في الشعر الاندلسي) . عندما تعرضت الاندلس الى هجوم الاعداء الذين استولوا على مدنهم وتمكن الاعداء النصارى من طرد المسلمين واخرجوهم مشردين في الممالك ومايميز شعر رثاء المدن انه :-

١. يحمل صفات المدن وعظم قدرها والحب والتشوق اليها ،ويعبر هذا الرثاء عن حالة الالم لما يحمله من صعوبه الموقف فهم يرون ملكهم الذي اقامه الأباء والاجداد حصنا للاسلام ومجدا للعروبة ، تتداعى اركانه امام اعينهم فيستولي عليهم الذهول ثم لايملكون الا ان يرثوه ويتفجعوا عليه بشعر يقطر اسى ممضاً ودموعا حارة !
٢. يحمل تشخيص حالة الضعف والهوان لدى ملوك وامراء الاندلس وهزلهم واغفالهم الخطر المحيط بهم ، وجد اعدائهم ، وهم يرون ديارهم تحتل منهم مدينة تلو مدينه .

ان ارتباط الانسان بارضه ليس ارتباطا هشا بل هو الميلاد والذكرى وملاعب الصبا وانس الطفولة وكما قيل في الامثال (لاتجف ارضا فيها قوابلك ولاتنسى بلداً فيه قبائلك) . ووصفوا حنين الرجل الى وطنه من علامات رشده فيعتمر الحب ذات الكلمات فيحملها موسيقى صداه فيصور الشاعر حبه لوطنه بمرتبة هي الوتر الشجي في قيثاره الشعر

وكان لسان حال الشاعر ابي البقاء الرندي في نكبه الاندلس قوله : (٨)

وصار ماكان من ملك ومـن ملك كـما حكى عـن خيال الطيف وسنان
وللحوادث سلطان يـــسهلها وما لما حل بالاسلام سلوان

ونلمس صدق مشاعره من خلال الصوره التي رسمها محملة بالالم والحسره حتى وصلت به الحاله ان يتصور ماعاشه في ارضه كان (كخيال طيف وسنان)

ويرى الباحثون ان الشعر العربي ومنذ امد العصور يشير الى ارتباط الانسان بأرضه ويمتد اصله متى ماكان في تلك الارض وبدافع الغرائز الفطرية فيه .

وقد قال شعراء الاندلس واكثروا القول في رثاء مدنهم ودولتهم حتى صار رثاء المدن والممالك بسبب ذلك فنًا شعرياً من فنون الادب الاندلسي .

ولكن عند عودتنا الى الشعر العربي في الشرق نجد شيئا من هذا القبيل ، كما ورد ذلك في قول ابن الرومي التي رثى بها مدينة البصرة ، عندما اغار عليها الزنج سنة ٢٥٥هـ .(٩)

ذاد عن مقلتي لذيذ الـمنام   شغلها عـنه بالـدموع السجام
أي نوم من بعد ماحل بالبصرة   مـاحل مـــن هنات عظام

وقد رثى بعض شعراء الاندلس المدن وحملت كلماتهم الحب والشوق وجسدوا عمق المأساة وكما جاء في رثاء مدينة طليطله (١٠)

طليطله أباح الكفر مـنها   حماها وان ذا نبأ كبير
فليس مثلها ايوان كسرى   ولا منها الخورنق والسدير
انترك دورنا ونـفر عــنها   وليس لنا وراء البحر دور

ونلمس في عبارات ابن خفاجة الاندلسي وهو يبكي بلوعة سقوط بلنسية بيد الاعداء سنة ٤٨٨ هـ بعد حصار دام عشرين شهراً (١١)

عاثت بساحتك الـعدا يادار   ومحا محاسـنك البلى والنـار
فـإذا تردى في جنانك ناظر   طـال اعتبـار فيك واستصبار

ومن المرثية الشاكية الباكية ، وهي بذاتها تغني عن كل شرح وتعليق قال فيها ابو البقاء الرندي (١٢)

لكل شيء إذا مــاتم نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كـما شاهدتها دول   من سره زمــن ساءته ازمان
وهذه الدار لاتبقى على احـد   ولايدوم علـى حـال لها شان
وصار ماكان من كلل ومن ملل   وللزمان من خيال الطيف وسنان
مجامع الدهر انواع منوعة   وللزمان مسرات واحــزان

اختار الشاعر الفاظًا لينة جميلة مؤثرة حملها المه وحسرته باسلوب الحكمة وللتعريف بتغلب الزمن وجاء وصفه بقوله (هذه الدار لاتبقى على احد ولايدوم على حال لها شان) استطاع ان يبرز قوة الدنيا - الدار - وانها تمتلك سطوة لاتبقى على احد حاله المسره .

رثاء النفس (الذات)

وقد ترددت مراثي شعراء الاندلس بكثير من القصائد والمقطوعات بذكر الارض والاهل والاحبة ومراثي الشعراء لزوجاتهم مثل مرثية الالبيري والاعمى التطيلي وابن جبير وابن حميدس ويأتي رثاء النفس والذي اكثر الشعراء من اعداد قصائد قبل رحيلهم فيها تأمل واعتبار ومواعض ووصايا منها رثاء المعتمد نفسه بقوله(١١)

قبــر الغريب سقاك الرائح الغادي   حقا ظفرت بأشلاء ابن عبــاد
بالحلم بالعلم بالنعمى اذا اتصلتْ   بالخصب ان اجدبوا بالري للصادي
بالطاعن الضارب الرامي اذا اقتتلوا   بالموت احمر بالضرغامة العادي
بالــدهر في نقم بالبحر في نعم   بالبدر في ظلم بالصدر في النادي
نعــم هو الحق وفاني به قدراً   من السماء فوافاني لميعـــاد
ولم اكن قبل ذاك النعش اعلمـه   ان الجبال تهادى فوق اعــواد
كفاك فارفق بما استودعت من كرم   رواك كل قطوب البرق رعـــاد

وكقول ابن غزال حين امتد به العمر نظم ابياتا مشبعة بالحكمة والواقعية أظهرت احساسه بوطاة الزمن وثقل الشيخوخة حيث قال :

لو كانت للاسماء يدخلها البلى   لقد بلى اسمي لأمتداد زماني (١٦)
ومالي لا ابلى لتسعيــن حجة   وسبـع اتت من بعدها سنتان
اذا عنٍّ لي شخص تخيل دونه   شبيه ضباب او شبيه دخان

وجاء في رثاء نفسه ايضا (١٧):

اصبحت والله محسوداً على امدٍ   من الحياة قصير غير ممتد
حتى بقيت بحمد الله في خلف   كاني بينهم من خشية وحدي

ومن خلال قراءة مجمله نصوص شعر الرثاء ورثاء المدن والممالك تبين انها بنيت اساساً على التراجيدي أي لتجسد عن طريق الشعر الشعور المتضخم بالمأساة وقد بني التراجيدي منها على موت الجميل او فقده او فقد المكان وحتى الذكريات فالديار ضاعت والاحبه رحلوا والزمان لن يعود مرة اخرى . وهذا هو المركز الاساس للتراجيدي في السياقات ويمكن تعميمه على شعر الرثاء ورثاء المدن في الشعر الاندلسي .

ولقد اكدت النصوص السابقة على مايلي سعيا وراء تجسيد قيمة التراجيدي فنياً وجمالياً

١. اكدت النصوص على العلاقة بين الانسان والارض منذ اقدم العصور وان ارتباطه بها لايعد مجرد صلة السكن بل هي الجذور العميقة التي تمتد الى اصله .

٢. اكدت النصوص على اثر البعد في نفسيه الفرد وقدرته على التحمل وحددت العلاقة بالقرب او البعد . فيكون الرثاء حاملاً للمشاعر الصادقة او وصف العلاقة والارتباط بين الناس أو الارض والانسان .

٣. اكدت جميع النصوص على فاعلية الزمن ودوره في المآساة فتكون المقارنه بين الزمن الماضي الذي كان عهد مسرات وبين حاضر جرد المحبين من كل شيء واشاع الالم والحسرة .

٤. اكدت النصوص على انعدام الروابط والمحبة الحقيقية التي ادت بالتالي الى ضياع المدن والغربه والتشرد في البلدان كما لمسناه في شعر رثاء المدن والممالك.

ونستخلص مما سبق الى ان التراجيدي في موقف الرثاء بوصفه قيمه جماليه وشكلا فنياً يعكس العلاقة بين الانسان والارض ويظهر مدى الحب والتشوق اليها عند البعاد عنها وخاصة اذا كان ذلك قسراً . كما عاشه شعراء الاندلس ونقلوه في اشعارهم .

الغربـة

ان لموضوع الغربة جذور عميقة عريقه وموغلة في التاريخ وذلك لا نها من الفرائز الفطرية في الانسان ترتبط بالعربي منذ اقدم العصور.

والاغتراب والتغرب ((النزوح عن الاوطان)) اما الحنين فانه من حنت الأبل :نزعت الى اوطانها واولادها .

والوطن هو مربض الابل والغنم ، فحنين الابل للوطن أي الى المربض ، وقد وردت تفاسير كثيرة لدلالات الفاظ الغربة والحنين في اللسان والمحيط تدل على معنى الابتعاد عن الوطن.

ويتجلى الشعور بالغربه والحنين الى الوطن عند التذكر او عندما يكون الانسان في حاله يفتقد فيها ارضه واهله فينتابه الحنين ، ويدق وتر اجراسه فيعيد بذاكرته الى ارض الاهل وملاعب الطفوله ولانغالي اذا قلنا ان الانسان جزء من تلك الارض ؛رمالها ، مائها، وهوائها، ولذلك يصعب عليه النسيان او الانفصال عنه فيحن الى العوده.

ويمكننا اعتبار هذا الموقف متمما لموقف رثاء المدن في رسم صورة التراجيدي التي جسدها الشاعر العربي في العصر الاندلسي. قيل لاحد الاعراب:- مالغبطه ؟ قال الكفايه مع لزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان؛قيل له :- ماالذلة؟ قال:التنقل في البلدان والتنحي عن الاوطان.ان دلالة هذه العبارات توضح قوة الارتباط بالوطن – الارض (١٣)

وكان الحنين يعني عند شعراء ما قبل الاسلام : التشوق الى الحي والاهل عند الرحيل ؛ثم تحول في العصر الاسلامي والعباسي الى المدن التي استقروا فيها بعد الفتوحات وسنمر فيما يلي ببعض النصوص التي تناولت مواقف الغربه والحنين في الشعر الاندلسي ؛حيث نجد انها مفعمه بالحب واللهفه ؛وان التراجيدي هو ابرز مايواجهنا فيها من تجسيد لاحساس التغرب والبعاد،وكما نلمسه في شعر عبد الرحمن الداخل وهو يصور احاسيس الانسان المتشوق الى وطنه ، عندما يخاطب نخلة زرعت في ارض الاندلس قائلاً (١٤)

يـــانخل انت غريبة مثلـــي   فـــي الغرب نائية عن الاصل
فابكـــي ، وهل تبكي مـكسبة   عجماء لـــم تطبع على خبل
لـــو انها تبكـــي لـــبكت   مــاء الفرات ومــنبت النخل

وقد جاء تصويره لحالة البعد بينه وبين النخلة تجسيداً وتشخيصاً للمعاناة ، ويرى الدكتور احمد هيكل ان الشاعر في هذه المقطوعه قد الح على الجانب العاطفي فأبرزه ، وهكذا جعل النخله انسانا حيا يغترب وينأى ، فنراه يعقد بينه وبينها مشاركة وجدانية ، وعلاقة نفسية حميمة ، واذا امعنا النظر في هذا التصور نجد ان دافعه الحب والتشوق الى الاوطان .

ولشعراء الاندلس اشعار كثيرة في الحنين الى الاوطان والاهل . واذا كان المشارقة لهم فضل السبق الى شعر الحنين ، فأن الاندلسيين قد لحقوا بهم ، وتقدموا عليهم ، في هذا المعنى وفاقوهم فيه كما وكيفاً . ويرجع الباحثون ذلك الى امرين :-

اولهما التقليد الذي جرى عليه الاندلسيون من الرحله المطردة الى المشرق العربي لطلب العلم . وثانيهما ان معظم من رحلوا من الاندلس - وما اكثرهم - كانوا من ذوي القلوب والاقلام فإذا تذكرنا هذين الامرين ، ادركنا السبب في الفيض الغزير من شعر الغربه والحنين الذي جاء منسوبا اليهم .

كما يرى الباحثون ان شعر الاندلس مميز كونه يحمل معاناة شعرائه في موقف الغربة والحنين واسهم معها في تكوين الاسس الجمالية التي بني عليها التراجيدي وجاءت تلك الصور بنقل صادق ومميز لايقل قوة عن شعر المشرق في وصف الامهم وحسرتهم وحنينهم الى اوطانهم بعد الفجيعة التي حلت بهم باحتلال الاندلس .

واستطاع عبد الرحمن الداخل أن يبرز العلاقات في شعره والمشاركة الوجدانيه جاء ذلك بقوله (١٥)

تبدت لنا وسط الـرصافة نـــخلة   تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي فـــي التغرب والنوى   وطول النائ عن بني وعن اهلـــي
نشأت بارض انت فـــــيها غريبة   فمثلك بالاقصاء والمنتأى مثلـــي
سقتك عوادي المزن في المنتأى الذي   يسح ويستمري السماكين بـالوبل

نلاحظ ان الشاعر ربط بين حالته والنخله في غربتها وقد كانت لغته واضحة وموائمة مفردتها للغرض المنشود . فلمسنا شدة الشوق والمعاناة والحزن العميق فهو من خلال الكلمات . يبرز فكرة التوحد في الحزن والغربة مع سرد الذكريات التي عاشها ، ونلمس ايضا ميزة اخرى هي تعميق الفكرة للكلمات المتجانسة معها ، وذات جرس يتجانس مع شدة الشوق ، فيميل احياناً الى الوصف .

نلمس ذلك بقول ابن زمرك في حنينه الى غرناطة ووصف مواطن جمالها .(١٦)

نسيــم غــرناطة عـــليل   لـــكنه يبـــري العليـــل
وروضهـــا زهره بـــليـل   ورشفه ينقـــع الغليـــل

ولم يكن الحنين في شعر ابن الخطيب في موشحة بكاء وندم ، بل جاء بصفه الدعاء بالسقيا والخير لزمان اللقيا بمواطن الاندلس ، وقد جاءت الموسيقى الشعرية هادئه مؤثرة يحمل جرسها المتوافق في ذكر التكرار اللفظي المتجانس قوله (١٧)

جادك الغيث اذا الغيث همـا   يازمان الوصـل بـالانـدلس
لـم يـكن وصلك الا حلمـا   فـي الكرى او خلسة المختلس

ولابد لنا ان نشير الى ان قيمة التراجيدي في موقف الرحله او في الغربة عن الاوطان تشكل دائماً صوراً تفيض بالحركة والحياة والاخرى تحمل صفه البؤس والشقاء ويعـود بنا عبد الرحمن الداخل عبر رسالة شاجية يبعث بها الى ارضه يقول فيها (١٨)

ايها الـراكب الميمم ارضـي   اقر مـن بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كمـا علمت بـأرض   وفـؤادي ومـالكيه بـأرض
قـدر البين بيننا فـافترقنـا   وطوى البين عـن جفوني غمضي
قـد قضى الله الفراق علينا   فعسى باجتماعنا سـوف يقضـي

تدور افكار المقطوعة حول الحنين الى الوطن ويبرز طابع الحزن فمثلا بالكلمـات (البـين ، الفراق ، الفؤاد) كما الح في ذكر الارض ومنحها ياء النسب ليؤكد هذه الصلة الحميمة وقد برع الشاعر في تصويره لمعاناة الغربه بان جعل من نفسه شطرين الجسد فـي المغـرب ولفؤاد في المشرق مما منح الفكرة دفئاً شعورياً وقدرة على الوصول الى الملتقى .

ومن الملاحظ ان اهم المعاني التي تدور عليها قصـائد الحنـين هـي :- الشـوق الـى الاوطان ، تجاربهم الذاتية في ديار الغربة ، تصوير ملاعـب الصبا ، ذكـر ايـامهم وعهـودهم السعيدة في ديارهم المزج بين الحنين والطبيعة في صورهم الشعرية قال الحسن علي بن سعيد العنسي لما قدمت مصر والقاهره ادركتني فيها وحشة فقلت (١٩)

هذه مـصر فـأين المغرب ؟   مـذ نأى عنـي فعيني تـسكب
فارقته الـنفس جهلا انـما   يـعرف الشـيء إذا مـايذهب

وقال نور الدين بن سعيد يتشوق الى اشبيلية وهي حمص الاندلس :- (٢٠)

لولا تشوق ارض حمص ماجرى ؟   دمعـي ولا شمتت بـي الاعداء
بلد متـى يخطر لـه ذكر هنا   قلبـي وخـان تصبـر وعزاء

وهنا يركز الشاعر ابو عبدالله محمد بن غالب الاندلسي بوضوح على التفاصيل الجزئية يظهر العلاقة الحقيقية له بارضه . ويربط هذه العلاقة بكونها حوت طفولته وصباه حيث كان الشاعر قد خرج من وطنه وهو صغير ، فقد وجدناه يكثر الحنين اليه بقوله : (٢١)

بلادي التي ريشت قويدمتي بها فريخـا وأوتنــي قرارتــها وكراً
مبادئ لين العيش فــي ريق الصبا أبى الله أن انســـى لها ذكـــر

وليس كالأغتراب شيء يزيد من حنين الانسان الى وطنه وتعلقه به وهذا ماحدث لهؤلاء الاندلسين ، سواء أكان اغترابهم الانتقال من الغرب الى الشرق ، ام الانتقال لسبب اخر من مدينة الى مدينة بالاندلس .

وكلما اشتدت عليهم وطأة الاغتراب ، ونالت من نفوسهم ، فزع الشعراء منهم الى الشعر يبثونه توقهم وحنينهم المشوب الى اوطانهم واهلهم واحبائهم فنلاحظ ان حنين الشاعر يتحول الى شكوى من الغربه او الدهر ، الذي ورث الم الفراق وحرقته والبعد عن الاهل والوطن ، فهو لايبعد عن واقعه بفرحه او حزنه .

وللأغتراب في الشعر الاندلسي وجوه اخرى تمثلت في الوحشة والتذكر والمقارنة بين مكان الغربه ومكان الموطن وكما نلاحظ في شعر ابى بكر محمد بن القاسم الحجازي ، بعد ان ارتحل الى المشرق وقاس ألم الفراق وانتهى به المطاف الى حلب فأقام بها مقام المغترب (٢٢)

اين اقصـــى المغرب من ارض حلب ؟ امل فـــــي الغرب موصول التعب
حـــن مــــن شوق الى اوطانه مـــن جفاه صبره لما اغترب
جال فــــي الارض لجاجا حائراً بيــن شوق وعنــــاء ونصب
كل مـــن يـــلقاه لايعرفـه مستغيثاً بيـــن عجـــم وعرب
يا احبائـــي اسمعوا بعض الــذي يتــــلقاه الطريـد المغتــرب
وليكن زجراً لكـم عــــن غربة يرجـع الرأس لديـــها كالذنب
وحمـــلوا ظعنا وضـــربا دائماً فهـــو عندي بيـن قومي كالغرب

فالشاعر هنا يفصل الاشياء الجزئية التي عاشها في ارضه ومايلاقيه في الغربة لاهميتها القصوى في بناء الموقف التراجيدي فهو يدعو الى تعميم الشعور بالمأساة لعله قومه يشعرون به .

ومما يزيد الامر بؤساً ويجعل الشاعر أكثر شقاء عجزه عن الرجوع الى اوطانه فينمو الشعور بخيبة الامل ، ويحس ان الجميل ذهب والاكثر من ذلك شعوره الأكيد بأن ذلك الوطن لارجعه اليه ابداً ، قول ابن حمدون المالقي في الحنين الى الوطن (٢٣)

تناءت ديار قــد الفت وجـــيرة فهل بي الـــى عهد الوصال إياب
وفارقت أوطانــي ولـم أبلغ المنـى ودون مرادي أبــــحر وهضاب
وفارقت مــــن غرب البلاد مواطنا فيسقــــى رياً غرب البلاد سحاب

فيا لقلب مـــن نار التشوق حرقة وبالعين مـــن فيض الدموع عباب

لقد انطوى الشعر الاندلسي على مقولات مثل :الاغتراب والاسى والمرارة ، والخيبة من الوصول الى الهدف وهو العودة الى الاوطان وقد اسهمت جميعها باثبات هوية التراجيدي واظهرت لغة الحب في الخطاب للشاعر الدور الاكبر في نقل مشاعره ولعل قول ابي الحسن على بن سعيد العنسي يبين ذلك (٢٤)

اصبحت اعترض الوجـوه ولا أرى ما بينها وجهًا لمـــن ادريه
عودي علـــى بدائي خلالاً بينهم حتـى كأني مـن بقايا التيه
ويـح الغريب توحشت الحاظـه فـــي عالـم ليس له تشبيه
إن عاد لـي وطنـي اعترفت بحقه إن التغرب ضاع عمري فيـه

ونلمس الملامح الفنية التي برزت في هذه الابيات وجسدت الحيرة التي عبر عنها بحالة التيه والغربة الموحشة فاصبح غريبا في عالم عاش فيه ولم يكن له شبيه.

وقد يكون الاغتراب ايضا بالبعد عن الاحبه وان كان ذلك بنفس المكان ، وغالبا مايكون هذا الشعور بالاغتراب معبرًا عن العلاقة والصلة بين الاحبة وفي حاله انقطاعها يصبح الحنين رجع صدى ماضيها وتخيل ذكرياتها كما في نونية ابن زيدون قوله مخاطبا ولاده (٢٥)

اضحـي التنائي بديلاً مـن تدانينا وناب عـن طيب لقيانا تجافيًا
الأ وقــد حان صبح البين صبحنا حيـن فقام بنا للحيـن ناعينا
مـــن مبلغ الملبسينا بانتزاحهم حزنا مـع الدهـر لايبلي ويبلينا
أن الزمان الذي مــازال يـضحكنا انسا بقربهم قــد عاد يبكينا
بنتم وبنا فمـا ابتلت جوانـحنا شوقًا اليكـم ولاجفت مآقينا
نكاد حيـن تناجيكم ضـمائرنا يقضـي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكـم ايامنا فـغدت سودًا وكانت بكـم بيضا ليالينا

البناء الفني في هذا النص بناء مترابط وليد مشاعر نفسيه تعددت احوالها ، لكنها بالتالي عبرت عن تجربة واحده . نقلت الشاعر الى اروقة الحزن ظهر ذلك في تجانس كلماته وتطابق فكرته فحمل الكلمات اساه وحزنه وبالتالي برز التراجيدي بشكل واضح في معاناة الشاعر والمه وتجربته تستند الى الصراع القائم في النفس بين الوصل والهجر او الفقد والذكريات.

من شعر الشوق الى الاحبه ماقاله ابو بكر محمد بن زهر يتشوق ولدًا صغيرًا في اشبيلية وهو في مراكش

ولـــي واحد مثل فرخ القطاة صغير تخلعت فـي قلبـي لديه
وافردت عنـه فياوحشتـــي لـــذلك الشخيص وذاك الوجيه
...
تشوقنـــي وتــــشوقته فيبكـــي عليَ وابكــي عليه

وقـــد تعب الشـــوق مابيننا   فمنه الــى ومنـــي اليـــه

ومن خلال مراجعتنا اشعار الغربة والخنين ، وجدنا ان اهم تعبير عنها قصائد الحنين هي الشوق الى الاوطان ، وتجاربهم الذاتية في ديار الغربة ، وتصوير ملاعب الصبا ، وذكرياتهم وعهودهم السعيده في اوطانهم ويظهر في صورهم الشعرية المزج بين الحنين والطبيعة فتكون تلك الصور معبره عن الحالة الجديدة التي يعيشها في غربته مع سعه الحال او في بلاده مع شظف العيش والفاقه .

ويمكن القول ان ماقيل في شعر الغربة والحنين قد فاق ماقاله الشعراء في الشرق لكون حالة الشعراء في المغرب تمثلت بنقل واقع مرير وتجسيد الم الفراق بالبعد عن الاهل والاوطان وبالاغتراب.

الدراسة الفنية

رموز الفقد في الشعر الاندلسي

تكمن قيمة الشاعر ـ بالاساس ـ في التعبير عن خولج النفس الانسانية ، ورصد ما يؤثر فيها من عوامل معنوية ومادية وشمولية واحساس عام . وتظهر في صورة التراجيديا ، فنلمح الرمز او الاسطورة محملة بفكرة الشاعر . نلمس ذلك بكثرة في الشعر الاندلسي حملها الشاعر احزانه والام الاغتراب . فالصورة التي رسمها ابن عبدون تؤكد القناعة بأن مواجهة الموت معركة خاسرة فهو في صوره الاستعارية رمز الى الموت بالانسان المتمرد او الاعصار الذي يمتلك القدرة على الدمار في قوله (كما منك يا موت لا واقٍ ولا غادِ ...) كذلك يبرز الرمز في شعر ابن حميدس وقوله (يد الدهر جارحة آسيه ...) ولعل لوحة الشكوى التي دلف اليها الشاعر عبد الرحمن الداخل تكشف عن دواعيها باطار الصراع النفسي الذي واجهه الشاعر في غربته ، ذلك الصراع ظهرت ابعاده بحواره مع النخلة حيث نقلها من واقعها الحقيقي الى رمز تتمثل فيه كل صفات الانسان ، فهي تشتكي وتتألم من الغربة كما تصور ذلك الشاعر بقوله (يا نخلة انت غريبة مثلي) .

الخلاصة :

من خلال ماحملته النصوص الشعرية في الشعر الاندلسي في اغراضه – الرثاء ورثاء المدن والممالك وشعر الغربة والحنين لكل ماتحمله من مشاعر ومعاناة لمسنا انها بنيت اساساً على التراجيدي أي تجسد عن طريق الشعر الشعور بالمأساة وقد بنى التراجيدي منها على فقد الوطن والاهل والاحبه وضياع الامال واصبح الرجوع اليه حلماً ، لقد اكدت النصوص السابقة على مايلي سعياً وراء تجسيد قيمة التراجيدي فنياً وجمالياً :

١. اكدت على عامل التفرقة التي ادت الى ضياع الوطن .
٢. ركزت جميع النصوص على ذكر الاوطان والاشياء ولذلك التفاصيل الجزئية لكونها تنقل المشاعر وتجسد الحالة في ذهن المتلقي .
٣. ومما ساهم في وضع اللمسات الهامة على لوحة التراجيدي في موقف الرثاء بانواعه والغربه والحنين المعجم اللغوي الذي يوحد بين النصوص ويعكس مفردات المأساة

مثل ، البكاء ، الصبر ، قوس الموت ، السقم ، الوحشة ، البلى ومفردات اخرى ساعدت في ابراز لغة الحب والتشوق .

ونستطيع القول ان التراجيدي يشكل لوحة فنية في شعر الغربة والحنين والرثاء اعطت مثلا جماليا مؤثراً لدى المتلقي . ولابد من القول في ختام كلامنا عن لغة الحب في حقول التراجيديا من الشعر الاندلسي ان جميع الالفاظ التي وردت في النصوص وتجانست مع الفكرة ساهمت في رسم لوحة تشكيلية لصورة التراجيديا في الشعر الاندلسي المأساوي .

الحوا شي والتطبيقات

١- ٢ الدكتور عبد العزيز عتيق / الادب العربي ص ١٩٩
٣-٤ نفسه
٥- ابن عباد /ديوانه ص
٦- ابن حمديس ديوانه ص وينظر الادب العربي في الاندلس ص٢٠٣
٧- نفسه

٨- الدكتور عبد العزيز عتيق / الادب العربي الاندلسي ص ١٢٨
٩- ابن الرومي / ديوانه ص ٣٢٠
١٠-لسان العرب / مادة غرب
١١- الدكتور عبد العزيز عتيق / الادب العربي الاندلسي ص ٣٢٢
١٢-ابن خفاجه / ديوانه ص ٢٣٧
١٣-الجاحظ ابو عثمان عمرو ابن بحر / الحنين الى الاوطان ص ١٥-١٦
١٤-الدكتور منجد مصطفى بهجت / الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطه ص٣٣٢
١٥-الدكتورة حميدة صالح البلداوي / الادب الاندلس موضوعاته وخصائصه ص ١٨
١٦- الدكتور عبد العزيز عتيق / الادب العربي الاندلسي ص٦١
١٧-تحقيق الدكتور سيد غازي ديوان الموشحات الاندلسيه ص٥٠٣/٢
١٨-نفسه ص٤٨٤
١٩-احمد بن محمد المقري النعماني /نفح الطيب ص٥٤/٣
٢٠- الدكتور عبد العزيز عتيق / الادب العربي الاندلسي ص٣١٤
٢١-نفسه ص٣٧٥
٢٢-نفسه ص٣٧٦
٢٣-ابن زيدون ديوانه ص ١٤١ وينظر الذخيره ص ٣٦٠/١
٢٤- احمد بن محمد المقري النعماني /نفح الطيب ص١٧-١٨

المصادر والمراجع :

١- ابن زيدون (حياته وادبه) علي عبد العظيم طه ، القاهرة .
٢- اتجاهات الشعر الاندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجري د. نافع محمود طه دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠ .
٣- الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، احمد هيكل ، ط دار المعارف ١٩٥٧.
٤- الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الغرناطة ، د. منجد مصطفى بهجت .
٥- الادب الاندلسي موضوعاته وخصائصه ، حميدة صالح مهدي البلداوي بغداد.
٦- الادب العربي في الاندلس ،عبد العزيز عتيق ودار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥.
٧- الحنين الى الاوطان ، الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر تحقيق طاهر الجزائري ط القاهرة .
٨- الشعر في ظل ابن عباد .د.محمد مجيد السعيد مطبعة النعمان والنجف ١٩٧٢ .
٩- الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي ، احمد حاجم الربيعي رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٨٣ .
١٠. فصول في الادب الاندلسي د. حكمت علي الالوسي ،ط بغداد ١٩٧٩ .

١١. القاموس المحيط ، مادة غرب .

١٢. لسان العرب ،ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ – مادة غرب – حنين.

١٣. المعتمد بن عباد الاشبيلي، د. صلاح خالص ط بغداد ١٩٥٥.

الدواوين :

١. ديوان ابن حمديس الصقلي . احسان عباس ،دار الصادر بيروت ١٩٦٠ .

٢. ديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ط الاسكندرية .

٣. ديوان ابن زيدون . تحقيق علي عبد العظيم طه القاهرة ١٩٧٥.

٤. ديوان الاعمى التطيلي تحقيق احسان عباس بيروت ط ١٩٦٣.

٥. ديوان الموشحات الاندلسية ، تحقيق د. سيد غازي الاسكندرية ١٩٧٩.

Abstract:-

The Indolsian poetry distin uished by many aesthetic values , that project beauty , ugliness and tragedy. It expresses these values through distinctive aesthetic system coordinated with the nature of these values.

Tragedy is portrayed into two levels. The first is represented by death and its consequences of misery and sadness and pain. The poet embodies his feedings by elegy and lamenting the dead which accompanied with tears.

With the variation of sad situations, love projects the type of tragedy and embody it by expressions of the meaningful feelings. It reflects the home side.

The second level is represented by love and passion in all situation that he encounters.